

أهمية الأصل والفرع في تفسير مستويات اللسان العربي من وجهة نظر الحاج صالح

The importance of the “Alas’l and Alfar’e” in analyzing the levels of the

Arabic language from the point of view of Hajj Saleh.

أ.د هشام صويلح *

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة- الجزائر. h.souilah@univ-skikda.dz

تاريخ النشر: 2025/03/30

تاريخ القبول: 2025/03/28

تاريخ الاستلام: 2025/03/28

ملخص:

تأتي هذه الدراسة لتعرض مفهومي الأصل والفرع انطلاقاً من التصورات التي قدمها الحاج صالح لهذا المفهوم باعتباره آلية عقلية تحليلية وتفسيرية عالج بها الظاهرة اللغوية العربية في جميع مستوياتها ومستثمراً إياها في بناء نظريته اللسانية، وفي ضوء هذه النظرية نحاول البحث عن مفهوم الأصل في مقابل الفرع والمواصفات التي حددت للأصل في كل مستوى من مستويات اللغة.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: بروز كفاءة الحاج صالح اللسانية في استنباط المفاهيم العلمية من المدونة اللغوية العربية القديمة، وقراءتها في ضوء العلوم الحديثة وبخاصة المنطق الرياضي، وانتهاءً إلى أن توزيع عناصر اللغة إلى أصول وفروع هو بنيته الأساسية إلى ما هو نواة وما هو متولد عنها.

كلمات مفتاحية: الأصل، الفرع، التحويل، مستويات اللغة، الحاج صالح.

Abstract:

This study presents the concepts of “Alas’l and Alfar’e” based on the concepts presented by Hajj Saleh regarding this concept as an analytical and interpretive rational mechanism with which he dealt with the Arabic linguistic phenomenon at all its levels, investing it in constructing his linguistic theory. In light of this

theory, we attempt to search for the concept of origin in contrast to branch and the specifications he defined for the origin at each level of the language.

The study reached a set of results, the most important of which are: the emergence of Hajj Saleh's linguistic competence in deriving scientific concepts from the ancient Arabic linguistic corpus, and reading them in light of modern sciences, especially mathematical logic, and his conclusion that the distribution of language elements into "Alas'l and Alfar'e" is its basic structure, as to what is the nucleus and what is generated from it.

Keywords: Alas'l and Alfar'e; language, Hajj Saleh, Transformation; levels.

1. مقدمة:

لقد تأثر معظم الباحثين المحدثين -على قلتهم- في حديثهم عن الأصل والفرع بكتب المتأخرين من العلماء والجماع والمؤلفين كابن الأنباري والسيوطي، واكتفوا بجمع وعرض ما جاء في تلك الكتب دون محاولة استثمار ذينك المفهومين في بناء نظرية لسانية عربية حديثة. ونذكر من هؤلاء الباحثين الدكتور تمام حسان في كتابه "الأصول"، والدكتور حسن خميس الملق في كتابه "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي" والدكتور منتظر حسن علي في كتابه "الأصل والفرع في شرح الرضي على كافية ابن الحاجب" وغيرهم، ومقارنة بما ورد في كتب ومؤلفات هؤلاء الباحثين، ألفينا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يتميز في تناوله لنظرية الأصل والفرع بشيء من الأصالة المتمثلة في قراءته لها ضمن الوسائل العقلية التي اعتمد عليها منطق التحليل اللغوي عند العرب القدماء.

وبناء على ما تقدم تأتي هذه الدراسة لتعرض مفهومي الأصل والفرع انطلاقاً من التصورات التي قدمها الحاج صالح لهذا المفهوم باعتباره آلية عقلية تحليلية وتفسيرية عالج بها الظاهرة اللغوية العربية في جميع مستوياتها ومستثمراً إياها في بناء نظريته اللسانية، وفي ضوء هذه النظرية نحاول البحث عن مفهوم الأصل في مقابل الفرع والمواصفات التي حددها للأصل في كل مستوى من مستويات اللغة، والبحث في النصوص التي رجع إليها في تحديد هذه المواصفات والمعايير، والبحث فيما تختلف نظرتنا للأصل والفرع عن نظرة الباحثين الآخرين؟ وهل عده أصلاً من أصول النحو أم اعتبره شيئاً آخر؟

وكيف استثمره في بناء نظريته، وما المفهوم الاجرائي أو المنهجي الأساس الذي تتمحور حوله نظرية الأصل والفرع؟

2- الأصل والفرع: المفهوم والمواصفات:

2-1- مفهوما الأصل والفرع:

يكثُر في كلام النحاة مجيء كلمة أصل ومعها كلمة فرع. وهم يقسمون كل عناصر اللغة إلى أصول وإلى فروع¹، و"لا تكاد صفحة من صفحات كتب النحو الأصول تخلو من الإشارة إلى هذين المصطلحين"²، ويعرف الحاج صالح الأصل بأنه "العنصر الذي يؤخذ منه عنصر آخر بزيادة علامة تحوله إلى وحدة أخرى، وتكون بذلك فرعاً على الأول"³، والفرع هو الزيادة أو التحويل الذي يجرى على الأصل، وبتجريد الفرع من زياداته وتحويلاته يرجع إلى أصله، وفيما يلي تفصيل لهذا الكلام.

هذا، ويعد الحاج صالح مفهومي الأصل والفرع من المفاهيم الأساسية التي شكلت منطق العرب في صناعة علومهم اللسانية⁴؛ حيث نجدها في علم الأصوات وفي علم العروض وفي علوم البلاغة وفي علوم النحو والصرف والمعجم⁵، وميزة هذا المفهوم أنه عقلي استنباطي تتكيف إجراءاته على تنوع المعارف التي تجرى عليها.

2-2- مواصفات ومعايير الأصل والفرع عند سيبويه: يوصف الأصل عند سيبويه بأنه الأول والأشد تمكناً والسابق والأخف والمستغني عن غيره... يقول مثلاً، واصفاً أصالة المذكر والنكرة للمؤنث والمعرف: "الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد فكل مؤنث شيء والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكناً، كما أن النكرة هي أشد تمكناً من المعرفة؛ لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف فالتذكير قبل وهو أشد تمكناً فالأول أشد تمكناً عندهم، فالنكرة تعرف بالألف واللام والإضافة وبأن يكون علماً، والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير"⁶

وانطلاقاً من قول سيبويه يمكن تحديد مواصفات الأصل ومعاييرها فيما يلي:

2-2-1- الأصل هو الأول: المقصود بالأصل هو الأول هو الشيء السابق في الوجود

على شيء آخر ويخرج المسبوق من الأول. فالمذكر قبل المؤنث والمفرد قبل المثنى والجمع

والنكرة قبل المعرفة، فلفظ كل من المؤنث والجمع والمعرفة مأخوذة من أصله الذي هو المذكر والمفرد والنكرة، والعلاقة بين هذه الأصول والفروع هي علاقة تفريع، والأسبقية في جميع هذه الأحوال كانت بسبب تفريع شيء من أصل⁷.

2-2-2-الأصل أشد تمكنا: يقول سيبويه "الأسماء هي الأول وهي الأشد تمكنا"⁸، ويقول أيضا "والاسم أبدا له من القوة ما ليس لغيره"⁹ مثل الأفعال والحروف. والأشد تمكنا هو الأقوى. والأصل بهذا المعنى يقوى دائما على تحمل الزوائد أكثر من الفرع؛ لأن الأصل عار من الزوائد وهو المنطلق للزيادة التفريعية والأشد تمكنا بين الأسماء والأفعال في اللغة العربية هي الأسماء؛ ويؤكد سيبويه ذلك في قوله "كما أن الفعل ليس له تمكنا الاسم"¹⁰، كما ليس للحروف أيضا؛ لأن الاسم يمكن أن يستغني في الكلام عن الفعل لكن الفعل لا يمكن أن يستغني عن الاسم لأنه "لابد للفعل من الاسم"¹¹ كي يكتمل معنى الكلام. ومن مظاهر التمكن قدرة الأصل الذي سنمثل له بالاسم المفرد المذكر النكرة (كتاب) على التصرف إلى عدد كبير من الصيغ، وقدرته على تحمل كذلك العدد الكبير من الزوائد يميننا وشمالا، كعلامات التعريف وحروف الجر على اليمين وعلامات الاعراب والتنوين والاضافة والوصف على الشمال، وقد ينفرد عنها كلها في الجواب (كتاب) عن السؤال ما بيمينك؟ وهذه القوة وهذا التصرف هما التمكن الذي يوصف به الأصل. وتلك الزيادة للأصل على اليمين والزيادة للأصل على الشمال تؤدي إلى توليد عبارة جديدة ناتجة عن ذلك التفريع¹².

2-2-3-خفة الأصل في مقابل ثقل الفرع: يقول سيبويه "اعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض"¹³، ويقول في وصفه للتذكير بالخفة في مقابل وصفه للتأنيث بالثقل: "اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول وهو أشد تمكنا، وإنما يخرج التأنيث من التذكير"¹⁴. يشير سيبويه في هذا النص إلى أن التذكير أصل للتأنيث (الأسماء المؤنثة بأداة تأنيث تضاف للاسم المذكر)؛ لأن التذكير يعرف من دون علامة أما التأنيث فهو متفرع عن التذكير بزيادة علامة التأنيث، ومما تقدم نستنتج أن الأصل هو الخالي من كل زيادة فهو أخف وأقل كلفة في البنية اللفظية، وكلما كثرت الزيادة على الفرع كان ذلك أثقل في البنية وينتج عنه زيادة في المعنى¹⁵.

2-2-4-الأصل مستغن عن غيره: الاستغناء في الأصل نوعان؛ استغناء على

المستوى الإفرادي واستغناء على المستوى التركيبي، أما استغناء الأصل عن فروعها على المستوى الإفرادي فيكون بإمكانية ظهوره هو وحده من دون فروعها؛ كظهور المفرد دون احتياجه إلى علامة التعريف أو ظهور المذكر دون احتياجه إلى علامة التأنيث، وهذا الاستغناء لا يمكن تحقيقه في الفروع وإلا فقدت هويتها بعودتها إلى الأصل. يقول الحاج صالح بهذا الصدد: "التقديم في الرتبة ليس هو من جنس تفرع لفظ من لفظ بل يتحقق قبل كل شيء بحصول الاستمرار والبقاء على الحالة الأولى من جهة، ويستمر هو دون غيره من جهة أخرى، ومن ثم استغناؤه عن فروعها، فالأصل من هذه الحيثية مستقل دون فروعها"¹⁶. هذا عن الاستغناء في المستوى الإفرادي، أما الاستغناء على المستوى التركيبي، فإنه يمكن أن يستغني الاسم عن الفعل وحروف المعنى، ولا يمكن استغناء الفعل والحرف عن الاسم. يقول سيبويه: "ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم وإلا لم يكن كلاما والاسم قد يستغني عن الفعل تقول الله إلهنا وعبد الله أخونا"¹⁷. يقول الحاج صالح شارحا قول سيبويه: "علمنا بهذا الكلام أن الأصل ليس بالضرورة ما يؤخذ منه الفرع لفظا ومعنى، فللأصل إذن معنى قد يكون أعم من معنى مصدر التفرع... وذلك مثل الاسم فهو مستغن عن الفعل وحرف المعنى، وإن لم يكن الفعل أو حرف المعنى مأخوذين بالضرورة من الاسم، فيستغني عنهما لوجوده في الجملة بلا فعل ولا حرف (مثل المبتدأ أو الخبر) وهما لا يستغنيان عنه"¹⁸، ثم يضيف الحاج صالح مبينا أصالة الاسم في مقابل الفعل وحرف المعنى: "فالاسم متقدم عن الفعل لهذه الأسباب، وتبعية الفعل له كاملة، إذ لا يوجد في الكلام فعل بدون فاعل"¹⁹.

3- صور الأصل والفرع في نظام اللغة العربية:

ذكر النحاة قديما وعلى رأسهم سيبويه صورا متنوعة تندرج في صلب معاني

الأصل والفرع، نذكر منها ما يلي:

1-3- الأسماء أصل للأفعال:

يقول سيبويه موضحاً ذلك "اعلم أنّ بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء؛ لأن الأسماء هي الأولى، وهي أشدّ تمكناً... وإنما هي من الأسماء (أي الأفعال مشتقة من الأسماء). ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم، وإلا لم يكن كلاماً، والاسم قد يستغني عن الفعل، تقول الله إلهنا، وعبد الله أخونا"⁽²⁰⁾. كما وصف سيبويه الاسم في موضع آخر بأنه "هو الأول والأمكن"²¹ مقارنة بغيره.

وقال الزجاجي "قال البصريون والكوفيون: الأسماء قبل الأفعال، والحروف تابعة للأسماء، والاسم قبل الفعل، لأن الفعل منه، والفاعل سابق لفعله"⁽²²⁾، ونقل السيوطي عن بعض النحاة قولهم "وإنما قلنا إن الاسم أصل، والفعل والحرف فرعان لأن الكلام المفيد لا يخلو من الاسم أصلاً، ويوجد كلام مفيد كثير لا يكون فيه فعل ولا حرف، فدل ذلك على أصالة الاسم في الكلام وفرعية الفعل والحرف فيه"⁽²³⁾. وهذا ما قصده سيبويه في قوله السابق "ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم، وإلا لم يكن كلاماً، والاسم قد يستغني عن الفعل، تقول الله إلهنا، وعبد الله أخونا". وهي أصالة من نوع أن الفعل في التركيب والاسناد ليس له معنى من دون الاسم.

2-3- النكرة أصل والمعرفة فرع:

يقول سيبويه في كتابه: "اعلم أن النكرة أخفّ عليهم من المعرفة، وهي أشدّ تمكناً؛ لأنّ النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تُعرّف به"⁽²⁴⁾. ويقول في موضع آخر من الكتاب "النكرة هي أشدّ تمكناً من المعرفة لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف"²⁵ وكما يخرج التأنيث من التذكير "يخرج المنكور إلى المعرفة"²⁶ ويقول الزجاجي: "ولذلك صارت النكرات من الأسماء أخف من المعارف، لأنه إذا ذكر الواحد منها دل على مسمى تحته بغير فكر في تحصيله بعينه، وإذا ذكر الاسم المعروف فلا بد من الفكر في تحصيله دون سائر من يشركه فيه، ألا ترى أنك إذا قلت: جاءني رجل، فليس للسامع فكر في تحصيله، لأنه واحد من جنس. وإذا قلت: جاءني محمد ذكرت واحداً معروفاً فسبيله أن يحصله بعينه من سائر من قد يشركه في التسمية، وإلا لم يكن لذلك معنى"⁽²⁷⁾.

3-4- الواحد أو المفرد أصل، والمثنى والجمع فرع:

يقول سيبويه: "الواحد أول العدد والنكرة قبل المعرفة"⁽²⁸⁾. ويقول في موضع آخر "الواحد أشد تمكنا وهو الأول"⁽²⁹⁾ ويقول أيضا "الواحد أشد تمكنا من الجمع لأن الواحد الأول"⁽³⁰⁾. ويمكن توضيح كلام سيبويه بما يلي: مثلا لفظ "مسلم" يدل على واحد، والواحد قبل اثنين وما يليه من الجمع، ولأن لفظ "مسلم" اسم متمكن باعتباره خال من الزيادات التي تثقله، فإنه يقبل أن تضاف إليه حروف بنويا كـ "الألف والنون" بالنسبة للمثنى المذكر "مسلمان، و"التاء والألف والنون" بالنسبة للمثنى المؤنث "مسلمتان". أو إضافة "الواو والنون" بالنسبة للجمع المذكر السالم "مسلمون"، أو "الألف والتاء" بالنسبة للجمع المؤنث السالم "مسلمات". أو "ألف ولام التعريف" المسلم، ومن ثم فالواحد المفرد أصل، وما زيد عليه من مثنى أو جمع مذكر أو مؤنث سالم، أو أداة تعريف فهي فروع.

3-5- المذكر أصل للمؤنث:

يقول سيبويه: "اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول وهو أشد تمكنا، وإنما يخرج التأنيث من التذكير"⁽³¹⁾. ويقول في موضع آخر "الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد... فالتذكير أول وهو أشد تمكنا... فالتذكير قبل وهو أشد تمكنا فالأول أشد تمكنا عندهم... والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير"⁽³²⁾، ويؤكد ابن جني ما ذكره سيبويه بتركيزه على أسبقية المذكر في الرتبة من المؤنث؛ حيث يقول: "المذكر أسبق رتبة من المؤنث"⁽³³⁾.

يتضح مما سبق من كلام سيبويه وابن جني، حسب الحاج صالح، أن ما يصفاه بأنه أول أو أسبق أو أنه أصل، هو الشيء السابق في الوجود على شيء آخر، ويخرج المسبوق من الأول، وأن الأصل هو العنصر الذي يؤخذ منه عنصر آخر بزيادة علامة تحوله إلى وحدة أخرى، وتكون بذلك فرعاً على الأول. فكل من المعرفة والجمع والمؤنث، ألفاظ مأخوذة من أصولها التي هي النكرة والمفرد والمذكر. والأصول أقوى من الفروع لأنها تقوى على تحمل الزوائد أكثر من فروعها، ولأنها هي المنطلق للزيادة التفرعية⁽³⁴⁾. وأنها أسبق رتبة من الفروع.

6-3- المصدر أصل للفعل:

اختلف النحاة قديما من البصريين والكوفيين حول الفعل والمصدر؛ أيهما مأخوذ من صاحبه، ويبين الزجاجي هذا الاختلاف فيما يلي⁽³⁵⁾:

- قال سيبويه وجميع البصريين: الفعل مأخوذ من المصدر والمصدر سابق له فهو اسم الفعل، ومن أدلتهم على أن المصدر أصل للفعل، أنه يوجد لفظه وحروفه في جميع أنواع الفعل كيف صرف، كقولنا خرج يخرج واخرج واستخرج ويخرج... فلفظ المصدر الذي هو أصله موجود فيه في جميع فنونه فعلمنا أنه أصله ومادته.

- وقال الفراء وجميع الكوفيين: المصدر مأخوذ من الفعل، والفعل سابق له وهو ثان بعده، ومن أدلتهم على أن المصادر بعد الأفعال وأنها مأخوذة منها، أن المصادر تكون توكيدا للأفعال كقولك ضرب زيد ضربا، وخرج خروجا، وقعد قعودا وما اشبه ذلك، فلا خلاف في أن المصادر هاهنا توكيد للأفعال. والتوكيد تابع للمؤكد ثان بعده، والمؤكد سابق له، فدل ذلك على أن المصدر تابع للفعل، مأخوذ منه، وأن الفعل هو الأصل الذي أخذ منه.

ونشير إلى أن أستاذنا الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح له وجهة نظر مخالفة لما ذكره الزجاجي، مرتكزا في ذلك على تحديد سيبويه للفعل على أنه "أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء... والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل"⁽³⁶⁾، حيث يقول الأستاذ معلقا على تعريف سيبويه للفعل: "وفي هذا التعريف تصريح بأن الحروف الأصلية للمصدر أصل لفعله لا المصدر نفسه، وهذا خلاف ما ادعوه"⁽³⁷⁾، أي إن المادة الأصلية (الجزر) للمصدر هي الأصل للفعل. كما يبين أن الخلاف الذي ذكره الزجاجي لم يحصل بين المدرستين إلا بعد سيبويه، إذ لم يأت ذكر لهذا الجدل إلا في زمان ثعلب (291هـ) والمبرد (285هـ).

4-توظيف مفهوم التفرع أو التحويل الناتج عن تحول الأصل إلى الفرع في تفسير مستويات اللسان العربي:

4-1- الاشتقاق ومفهوم التفرع: الاشتقاق هو تفرع لفظي ومعنوي وهو ظاهرة

لغوية عامة تنطبق على وحدات اللغة إلا الجامدة منها، قال أبو علي الفارسي بهذا الصدد:

"كلام العرب بعضه مأخوذ من بعض فقد يكون الأصل واحدا ثم يخالف بالأبنية فيلزم كل بناء ضربا واحدا من الجنس مثل العدل يشتق من العدل والعدل³⁸".

ويحدد السيوطي الأصل في الاشتقاق في كتابه "الأشباه والنظائر في النحو" بقوله: " فالأصل هاهنا يُراد به الحروف الموضوعة على المعنى وضعا أوليا. والفرع لفظ يوجد فيه تلك الحروف مع نوع تغيير ينضم إليه معنى زائد على الأصل، والمثال في ذلك: (الضرب) مثلا؛ فإنه اسم موضوع على الحركة المعلومة المسماة (ضربا) ولا يدل لفظ الضرب على أكثر من ذلك.

فأما ضَرَبَ، وَيَضْرِبُ، وضاربٌ، ومَضْرُوبٌ، ففيها حروف الأصل وهي: الضاد والراء والباء، وزيادات لفظية لزم من مجموعها الدلالة على معنى الضرب ومعنى آخر"³⁹).

إن تعريف السيوطي للأصل والفرع نابع من مفهوم الاشتقاق الذي يدل على "اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه الأصل"⁴⁰). أو إنه "عبارة عن الاتيان بألفاظ يجمعها أصل واحد مع زيادة أحدهما على الآخر في المعنى"⁴¹).

ويمكن توضيح هذه التعريفات كما يلي:

إن الأصل الحقيقي لمشتقات كلمة "الضرب" هو الجذراًو المادة الأصلية، المتكونة

من:

ض ر ب | ← ومعناه العام: حدث الضرب، فيمكن أن نفرع من هذا الأصل

مجموعة من الفروع، مثل:

- صيغ المصدر: المضاربة وفيه معنى إضافي يدل على المفاعلة بالإضافة إلى معنى الجذر ومعنى الحدث،
- وصيغ الفعل: ضرب يضرب فهما معنى انقطاع الحدث في الماضي واستمراره في المضارع،
- وصيغ الصفات: مثل ضارب فيه معنى الجذر ومعنى الحدث ومعنى صاحب الحدث،
- وصيغ الأسماء: مثل مضرب فيه معنى الآلة... وغير ذلك من المشتقات⁴²).

| ض ر ب | ← ومعناه العام: حدث الضرب (الأصل).
ويمكن تشكيل هذا في الجدول الآتي:

جذر ض ر ب	معناه العام: حدث الضرب
صيغ المصدر	المضاربة...
صيغ الفعل	ضرب، يضرب...
صيغ الصفات:	ضارب...
صيغ الأسماء	مِضْرَب...

وما يلاحظ على هذه المشتقات أو الفروع أنها تولدت أو تناسلت عن أصل واحد بفضل زيادة حركة أو بزيادة حرف أو أكثر من حرف، وقد نتج عن كل زيادة لفظية زيادة في المعنى. وقد أشار نحائنا إلى أن "كثرة الحروف تفيد مبالغة في المعنى" ⁽⁴³⁾، وعبر عنها الزمخشري في قاعدة عامة بقوله: "إنّ الزيادة في البناء لزيادة المعنى" ⁽⁴⁴⁾. يقصد العلماء بكثرة الحروف أو الزيادة في البناء الزيادة اللفظية التي ينتج عنها تحويل في العنصر اللغوي من الأصل إلى الفرع ومن ثمة زيادة في المعنى بفضل الاشتقاق.

ومما تقدم يتضح أن الأصل يستمر في فروعه وهو واحد، على حين أن الفروع كثيرة ومتنوعة، وما يوجد من صفات ثابتة في الأصل نجده كما هو في سلسلة الفروع، مع زيادة يمتاز بها كل فرع منها لفظاً ومعنى ⁴⁵. لكن هل يكون التفرع دائماً على هذه الصورة المادية لفظاً ومعنى؟ أي أن يكون الفرع من لفظ ومعنى الأصل؟ أم يمكن أن يكون بأشكال أخرى أكثر تجريداً وافتراساً؟

4-2- أصل الأفعال في التصريف هو الفعل الماضي: لأنه يأتي على أقل ما يمكن النطق به (فعل+علامة عدمية تمثل ضمير الغيبة) ثم تتفرع عليه الأمثلة بزيادة، أو هو بعبارة الحاج صالح منطلق التصاريف باعتباره يمثل موضع النواة التي يدخل فيها عنصران أحدهما ظاهر والآخر مضمّر، وهما الفعل والضمير المتصل المرفوع؛ وهو علامة داخلية في بناء الفعل هو بذاته وليست موصولة ولا يمكن أن تنفصل عنه، وذلك مثل الفعل الماضي

(كتب) فهي تمثل الفعل الدال على الزمن الماضي والضمير المتصل المرفوع صيغة الغائب بالإضافة إلى حدث الكتابة من جهة الدلالة⁴⁶. ولكي يعبر الفعل في حالة المضارع عن الزمن والضمير المقصود يجب أن تزداد على بنية الفعل الماضي المجرد (كتب) مجموعة من الحروف يمينا أو شمالا حسب نوع الأفراد أو التثنية أو الجمع، نحو يكتب، تكتب، يكتبان، يكتبن، يكتبون، أكتب، نكتب...

4-3- بين التفرع المادي والتفرع المجرد: التفرع المادي هو النوع الذي تؤخذ فيه الفروع لفظا ومعنى من أصولها (كما مر ذكره في الاشتقاق وغيره). أما التفرع المجرد فهو النوع الذي لا يكون ماديا بالضرورة بل مجردا أو صوريا، فلا علاقة بنوية تربط الأصل بالفرع، وذلك مثل اعتبار (إن) الشرطية أصل لأدوات الشرط، لأنها لا تزول دلالتها على الشرط، واعتبار الهمزة أصل في حروف وأسماء الاستفهام. وكذلك العمل الذي أصل للفعل وحروف المعنى وليس أصلا للاسم، وكالتقديم والتأخير فتقديم الفاعل على المفعول أصل وتقديم المفعول على الفاعل فرع... ويتبين من الحالات التي تقدمت أن العلاقة بين الأصل والفرع لا تكون بالضرورة علاقة مادية قائمة على تفرع الفروع من الأصول لفظا ومعنى، بل تكون زيادة على ذلك علاقة صورية مجردة من كل محتوى مادي⁴⁷.

4-4- الأصل الافتراضي والفرع الحقيقي على المستوى الصرفي: بالإضافة إلى ما تقدم من الأوصاف السابقة الذكر للأصل كالتمكن والخفة والأسبقية... فإنه يوجد نوع آخر من الأصول بفروعها لا يراعى فيها الأوصاف السابقة، بل المعتبر فيها هو التغيير الحاصل على اللفظ دون المعنى، وذلك بتغيير صوتي يصيب جنسا من الكلام، والفرع ههنا هو الموجود المستعمل والأصل هو الذي يُفترض وجوده، وذلك مثل الفعل (قام) فأصله عند العلماء العرب (قَوَمَ) فقلبت الواو ألفا، وفي الفعل (طال) (طَوَّلَ) وفي (خاف) (خَوَّفَ) وفي (شدّ) (شَدَدَ) وفي (استقام) (اسْتَقْوَمَ)، وهذا التفسير يسمى عند البعض برد الشيء إلى أصله. وافترض هذا الأصل عند العلماء العرب ما هو إلا نتيجة عما يقتضيه نظام اللسان العربي. وبهذا الصدد يقول ابن جني: مبررا الافتراضات التي وضعها العرب لهذه الأصول: "وإنما معنى قولنا: إنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يُعلل لوجب أن يكون

مجيئه على ما ذكرنا. أما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم صرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر"⁴⁸.

4-5-زيادة المعنى بزيادة علامة على الأصل: يكون الأصل هو منطلق التحويل في الوحدات اللغوية والبنى النحوية غالبا -لفظا ومعنى- غير أن المحول إليه يكون أزيد معنى من المحول منه، يقول الحاج صالح: "إن المحول إليه من البنى في اللغة هو بالضرورة أزيد لفظا ومعنى من المحول منه، وتكون الزيادة دليلا على معنى زائد، ويحصل ذلك في كل المستويات إلا مستوى الحروف الأصول أولا (أصول الكلم) لأنها غير متفرعة من أصل، بل هي الأصول المطلقة في نظام اللغة العربية، وثانيا مستوى الكلم المجردة من الزيادة"⁴⁹. وفي كل الأحوال يكون التفرع في الغالب بزيادة لفظية تدل على معنى زائد، والذي يهم هنا هو مفهوم الزيادة وما يقتضي عدم الزيادة من عدم وجود لعلامة لفظية، واعتبارهم أن ترك العلامة علامة، عدم زيادة علامة على الاسم المذكر علامة على التذكير...⁵⁰. وعدم زيادة أدوات التعريف علامة على التنكير، وعدم زيادة علامة المثنى والجمع علامة على المفرد... وهلم جرا.

4-6-الأصل والفرع في مستوى التركيب والجمل: ينطبق مفهوم الأصل والفرع على كل وحدات اللغة ومنها الجمل، يقول سيبويه في باب المسند والمسند إليه: "اعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ...وذلك أنك إذا قلت عبد الله منطلق إن شئت أدخلت رأيت عليه فقلت رأيت عبد الله منطلقا أو قلت كان عبد الله منطلقا أو مررت بعبد الله منطلقا، فالابتداء أول"⁵¹، ويشرح الحاج صالح قول سيبويه كما يلي: "يريد سيبويه بالمبتدأ ههنا المبتدأ مع خبره كجملة، فهذه الجملة هي العدد الكبير جدا من الجمل المتفرعة عنها بدخول النواسخ عليها والكثير من الأفعال غير الناسخة (مثل رأيت) وشبه الأصل بالعدد الواحد لأن المجموعة (كمفهوم رياضي) من الأعداد الصحيحة تتولد بعضها من بعض ابتداء من الواحد وبزيادة واحد لكل عدد مثلما تتولد الجمل الاسمية بزيادة وحدة لغوية تنتمي إلى المجموعة الإفرادية"⁵². والأصل في التركيب هو "ما يبنى عليه" وبالتالي ما ليس فيه زيادة وهو عند النحاة العرب أقل ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد مما هو أكثر من لفظة"⁵³. وذلك مثل (زيد

منطلق) فهذا التركيب يمثل النواة أو الأصل الذي تزداد عليه ما يمكن من زيادات مع بقاءه استمراره في فروعه فالزيادات من قبيل إن زيدا منطلق، وكان زيد منطلقا، وحسبت زيدا منطلقا، وأعلمت خالدا زيدا منطلقا... فكل هذه التراكمات تتضمن نواة واحدة وهي الأصل وتفرع عليها الفروع بهذه العملية التحويلية التي هي زيادة الزوائد⁵⁴. ويمكن توضيح ذلك كفي الجدول التالي:

الأصل	الفرع
زيدٌ منطلقٌ	إن زيدا منطلق
	كان زيدٌ منطلقا
	حسبت زيدا منطلقا
	أعلمت خالدا زيدا منطلقا

5- الخاتمة:

اتضح -مما تقدم- الفوائد الكبيرة التي ترتبط بنظرية الأصل والفرع، وذلك من خلال اللجوء إليهما في تفسير الكثير من الظواهر اللغوية، فقد بُنيت مسائل نحوية كثيرة على هذين المفهومين، واللغة عند النحاة العرب، حسب الحاج صالح، كلها أصول وفروع. وتوزيع عناصر اللغة إلى أصول وفروع هو بنيتها الأساسية إلى ما هو نواة وما هو متولد عنها. فالأصل هو دائما المنطلق لعملية تحويلية، وأما الفرع فهو العنصر الذي تنتهي إليه عملية التحويل، والعلاقة التي تربطهما هي علاقة التحويل أو التفرع من بنية إلى أخرى⁵⁵. -تدخل نظرية الأصل والفرع في باب النظر فيما يلزم من العمليات لصوغ أو توليد الوحدات اللغوية، وهو نظرعقلي استدلالي قائم على استقراء المدونة العربية.

- كل وحدة في اللسان العربي إما أصل وإما فرع⁵⁶.

- التصارييف الحاصلة في اللغة تقع لازاما بين أصول وفروع في داخل كل مستوى من مستويات اللغة، ولمفهوم الأصل والفرع والتفرع نفسه أصالة ومميزات خاصة⁵⁷.

- عد الحاج صالح الأصل والفرع من المفاهيم الأساسية التي شكلت منطق العرب في صناعة علومهم اللسانية. وقد اعتمده هو نفسه كآلية عقلية لتفسير التراكيب النحوية في كتابة البنى النحوية العربية الذي يعد الصورة التمثيلية لنظريته اللسانية.
- يعد الحاج صالح عالما لسانيا من الطراز الأول، فقد قدم للسانيات العربية واللسانيات العامة تأويلات وقراءات علمية لم يسبق إليها في مجال تحليل الظاهرة اللغوية.
6. الهوامش والإحالات:

- ¹ - انظر عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص 139.
- ² - حسن خميس الملوخ: "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي"، دار الشرق، عمان. 2001، ص 11.
- ³ - الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان... ص 140.
- ⁴ - الحاج صالح: منطق العرب... ص 140.
- ⁵ - انظر أمثلة الأصل والفرع في هذه العلوم عند حسن خميس الملوخ في كتابه "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي"، دار الشرق، عمان. 2001، ص 17-25. ومنتظر حسن علي في كتابه "الأصل والفرع في شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، عالم الكتب الحديث، الأردن. 2011. ص 5-23.
- ⁶ - سيبويه: الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق-مصر، ط1، 1316 هـ ج 2 ص 22-23.
- ⁷ - انظر الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان... ص 140.
- ⁸ - سيبويه: الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق-مصر، ط1، 1316 هـ 6/1.
- ⁹ - سيبويه: الكتاب... 304/2.
- ¹⁰ - سيبويه: الكتاب 7/1.
- ¹¹ - سيبويه: الكتاب 7/1.
- ¹² - الحاج صالح: البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016، ص 89.
- ¹³ - سيبويه: الكتاب، 6/1.
- ¹⁴ - سيبويه: الكتاب، 7/1.
- ¹⁵ - الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان ص 141.
- ¹⁶ - الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان ص 141.
- ¹⁷ - سيبويه: الكتاب ص 6/1.

- ¹⁸ - منطق العرب ص 141.
- ¹⁹ - الحاج صالح: منطق العرب...141
- ²⁰ - سيبويه: الكتاب ج 1 ص 6.
- ²¹ - سيبويه: الكتاب 305/2.
- ²² - أبو القاسم الزجاجي: الايضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس. بيروت- لبنان ط3، 1979. ص 83.
- ²³ - السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق-سوريا. 1987. ص 119/1.
- ²⁴ - سيبويه: الكتاب...ج 6/1.
- ²⁵ - سيبويه: الكتاب... 22/2
- ²⁶ - سيبويه: الكتاب، 22/2
- ²⁷ - الزجاجي: الايضاح... 100.
- ²⁸ - سيبويه: الكتاب، 7/1.
- ²⁹ - سيبويه: الكتاب، 15/2.
- ³⁰ - سيبويه: الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق-مصر، ط1، 1316هـ ج 1 ص 7.
- ³¹ - سيبويه: الكتاب، 7/1.
- ³² - سيبويه: الكتاب...ج 2 ص 22-23.
- ³³ - ابن جني: الخصائص، ت محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د-ت. 112/1.
- ³⁴ - منطق العرب.... 140.
- ³⁵ - الزجاجي: الايضاح... 56 وما بعدها. وانظر أيضا ما نقله ابن الانباري، حول هذه المسألة، في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف. تحقيق جودة مبروك، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 2002. ص 192 وما بعدها.
- ³⁶ - سيبويه: الكتاب، 12 /1.
- ³⁷ - منطق العرب... 146.
- ³⁸ - ا الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان ص 145
- ³⁹ - السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق-سوريا. 1987. ص 125 و126.

- ⁴⁰ - نفسه... 126.
- ⁴¹ - نفسه... 126.
- ⁴² - الحاج صالح: منطق العرب... 147.
- ⁴³ - السيوطي: همع الهوامع 493/2.
- ⁴⁴ - الزمخشري: تفسير الكشاف، دار المعرفة بيروت-لبنان، ط3، 2009، ج1 ص 26.
- ⁴⁵ - الحاج صالح: البنى النحوية العربية... ص 148.
- ⁴⁶ - الحاج صالح: البنى النحوية العربية، 83.
- ⁴⁷ - الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان 151.
- ⁴⁸ - ابن جني: الخصائص، ت محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د-ت. 257/1.
- ⁴⁹ - الحاج صالح: البنى النحوية... ص 14.
- ⁵⁰ - نفسه ص ن.
- ⁵¹ - سيبويه: 7/1.
- ⁵² - الحاج صالح: البنى النحوية العربية ص 15.
- ⁵³ - الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر-الجزائر، 2007، 249/1.
- ⁵⁴ - نفسه، 253/1.
- ⁵⁵ - الحاج صالح: منطق العرب... 154 و 155.
- ⁵⁶ - الحاج صالح: البنى النحوية العربية... ص 13.
- ⁵⁷ - نفسه 14.

7-المصادر والمراجع:

- ابن جني: الخصائص، ت محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د-ت
- ابن الانباري، حول هذه المسألة، في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف. تحقيق جودة مبروك، ط1، مكتبة الخانجي،
- أبو القاسم الزجاجي: الايضاح في علل النحو، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس. بيروت-لبنان ط3، 1979.
- سيبويه: الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق-مصر، ط1، 1316هـ
- السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق-سوريا. 1987.
- القاهرة-مصر، 2002
- السيوطي: همع الهوامع 493/2.

- الزمخشري: تفسير الكشاف، دار المعرفة بيروت-لبنان، ط3، 2009،
- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص 139.
- الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر-الجزائر، 2007،
- الحاج صالح: البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016
- حسن خميس الملق: "نظرية الأصل والفرع في النحو العربي"، دارالشرق، عمان. 2001، ص 11.
- منتظر حسن علي في كتابه "الأصل والفرع في شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، عالم الكتب الحديث، الأردن. 2011.